واقع الدراسات النحويَّة في العصر الحديث

أ. مشلب محمد الشين
كلية الدراسات العليا
جامعة البحر الأحمر

د. صلاح رمضان عبد الله عبد البين
أستاذ مشارك- قسم اللغة العربية
جامعة البحر الأحمر

المستخلص :

يعرضَ البحثُ بالدراسة والتحليل قضيةً تعدُّ من أهم القضايا التي برزت في الدراسات اللغوية في العصر الحديث وهي حركة تجديد نظام اللغة العربية قديماً وحديثاً ، وهذا ما يسوقنا إلى النظر في الدرس النحوي الحديث إلى تلك الجهود المبذولة التي حاولت تجديد النحو ، مادة ، وعرضاً، انطلاقاً من التراث النحوي القديم ، من خلال ما وقفت عليه من أعلام قدمت آراء جديرة بالملاحظة، والتبني؛ فقد تتبع البحث حركة تجديد النحو العربي بين الأصالة والحداثة والتي تمتاز بكثرة ورودها في مصادر اللغة العربية ، و**يهدف** البحث إلى المقاربة بين الرؤى التجديدية عند النحاة قديماً وحديثاً ، وإنشاء نحو عربي متصل بمعطيات الحداثة ، و تسليط الضوء على هذه الآراء نقداً وتقويماً ، وتبدو **أهمية** البحث في النظر في نقد المحدثين ومواقفهم من تلك المحاولات؛ و جمع ما تناثر من دراسات وبحوث في دائرة تجديد النحو وإصلاحه ، والتقاط النظرات الجريئة التي رصدها هؤلاء الباحثون ومحاولة نقدها، وبيان ما أدت هذه الدراسات في نقد الدرس النحوي القديم، ومعالجة مشكلاته، وصعوباته، وتقديم ما تراه صالحا للدرس النحوي الحديث. و قد **خلص البحث** إلى أن التَّجديد النحوي عند القدماء كان يتجه نحو معالجة القضايا مع مراعاة توحيد الأصل وإتمام البناء . ، و ابتداء بنظريات النحو العربي وانتهاء بمحاولات التيسير القديمة الحديثة، والدعوة إلى إلغاء نظرية العامل وتجديد القواعد النحوية، وإعادة النظر فيما التبس منها. وإعادة النظر فيه هي محاولة ابن مضاء القرطبي في كتابه الردّ على النحاة»، وبيان مواقف المحدثين من النحو العربي . وقد بني البحث على **المنهج** التكاملي انطلاقاً من الظاهرة اللغوية وصولاً إلى الأحكام النّحوية و الضوابط التي تنظمها وتضبطها .

الكلمات المفتاحية : الإبقاء على النحو القديم - تجديد النحو - تغيير النحو .

The reality of grammatical studies in the modern era

A.Mashlab Muhammad Al-Shein
Dr. Salah Ramadan Abdullah Abdlbain

Abstract:

The research presents through study and analysis an issue that is considered one of the most important issues that have emerged in linguistic studies in the modern era, which is the movement to renew the Arabic language system in ancient and modern times. This is what leads us to look in the modern grammar lesson at those efforts made that attempted to renew grammar, both in material and presentation, based on

From the ancient grammatical heritage, through the notable figures it stood on, it presented opinions worthy of note and adoption. The research traced the movement to renew Arabic grammar between originality and modernity, which is characterized by its frequent occurrence in the sources of the Arabic language. The research aims to bring together the innovative visions of ancient and modern grammarians, and to create an Arabic grammar connected to the data of modernity, and to shed light on these views through criticism and evaluation. The importance of the research appears In considering the criticism of the hadith scholars and their positions on these attempts; And collecting the scattered studies and research in the field of grammar renewal and reform, capturing the bold views observed by these researchers and trying to criticize them, and explaining what these studies led to in criticizing the old grammatical lesson, addressing its problems and difficulties, and presenting what it deems valid for the modern grammatical lesson. The research concluded that grammatical innovation among the ancients was directed towards addressing issues while taking into account the unification of the origin and the completion of the structure. Starting with theories of Arabic grammar and ending with ancient and modern attempts at simplification, and calling for the abolition of the factor theory, renewing grammatical rules, and reconsidering what is ambiguous about them. Reconsidering it is the attempt of Ibn Muda' al-Qurtubi in his book "The Response to the Grammarians," and to clarify the positions of the hadith scholars regarding Arabic grammar. The research was built on the integrative approach, starting from the linguistic phenomenon and reaching the grammatical rulings and controls that organize and control it.

Keywords: keeping the old grammar - renewing the grammar - changing the grammar.

مقدمة :

بالنظر لسعة الدرس النحوي ، وإيغاله في الزمن البعيد - أكثر من ألف عام فقد أفرزت هذه الحقبة الزمنية الطويلة ، دراسات كثيرة ومتنوعة في مجال ، النحو العربي. وتجانست أبواب هذه الدراسات أحياناً مع علوم أخرى ، هي في الأصل بعيدة عن النحو ، كالفقه ، والمنطق والفلسفة . وتركت هذه العلوم بصمات واضحة على النحو العربي ، فدخله العسر تارة، واليُسر أخرى . ولما تطورت الحياة ، وبرزت دراسات حديثة

في هذا العلم، حاول أصحابها إظهار مشكلات النحو العربي ووضع الحلول الملائمة لها . فعُنيَتْ هذه الدراسات بكُلّ جوانب النحو ، إذ شملت القديم، والمتأخر بأبوابه وأصوله ، وبيَّنت ما فيه من عُسر وصعوبة ، وحددت مواضع الخلل ، التي تركتها علوم الفلسفة والمنطق عليه ، وحاولت وضع حلول لذلك دون مساس في أصالة النحو . فظهرت ثلاثة أنواع من . الدراسات تناولت هذا الأمر المهم وحاولت علاجه ، وقد وضعتها في ثلاثة مباحث . أشرتُ فيها إلى أهمها .

مشكلة البحث:

وأهم الإشكاليات والتساؤلات التي يطرحها الموضوع :

- ما الفرق بين الظواهر اللغوية والظواهر النحوية ؟
- هل أضافت النظرات الناقدة إلى حركة تجديد النحو العربي جديداً ؟
- كيف برزت اجتهادات المحدثين في إزالة الغموض واللبس حول بعض الظواهر النحوية وما جدَّ منها.

منهج الدراسة :

في إطار التكامل المنهجي للدراسة بغية التوصل إلى نتائج إيجابية مرجوة؛ اتبعنا ما يمكن أن يسمى بالمنهج التكاملي انطلاقاً من الظاهرة اللغوية وصولاً إلى الأحكام النّحوية و الضوابط التي تنظمها وتضبطها، لأنَّه لا يقف من اللغة موقفاً قبلياً ولا يعتمد على المعيارية أو الجاهزية أو الوصفية وكذلك باعتباره المنهج الأنسب لهذه الدراسة، إضافة إلى المنهج التحليلي و آلياته وذلك في تقديم المفاهيم حول الطرق المتبعة في دراسة مظاهر التجديد عند القدامى، والآراء التوجيهية أو النقدية عند المحدثين في دراستهم لبعض أبواب النحو العربي، وإعادة النظر فيما التبسَ أو سادهُ الإغفال أو الغموض.

الهدف من البحث :

يعتبر النحو العربي أبرز فروع اللغة العربية ، وهو وسيلة لحماية اللغة من لحن الأعاجم، وأداة لفهم الكتاب والسنة إن فكرة تجديد النحو هي فكرة علمية و تعليمية لازمة ومشكلة تربوية لذلك كان لابدَّ من وضع الحلول لها حتى تدفع عن النحو سمة الصعوبة التي نادى بها بعض المغرضين ودعاة التغريب من أبناء أمتنا، ويحمل النحو العربي في ضوئها مسؤولية ضعف العربية لدى أكثر المثقفين لذلك كان لابد من :

- الوقوف على إرث النحاة الأوائل .
- ضبط النظرة المثلى للنحاة المحدثين لهذا الإرث .

أهمية البحث :

رغم تطرُّق كثير من الباحثين إلى ظاهرة تجديد طور النحو في نظر الدَّارسين ـ مما قد يجعل فيها معاداً إلا أنَّني أرى أنَّ جدة طرحي تكمن في نقطتين:

1. الوقوف عند غُلوُّ بعض الباحثين في توجيه النقد للقدماء ، وإخضاع الظاهرة النَّحويّة للنظريات المستجلبة ، والقراءات الخارجية التي تتنافى وطبيعة الدرس النحوي، ومحاولة الفصل التاريخي بين حاضر الأمة وماضيها في لغتها في منهج تفكيكي بنيوي مـن خـلال مشروع النهضة القائم على إنشاء حضارة على أنقاض حضارة أخرى في حلقة نفي أو سلب النظم الجديدة للنظم القديمة.

2. دحض غلو بعض الباحثين في توجيه النقد للقدماء وإخضاع الظاهرة النحوية للنظريات المستجلبة المستمدة من الأشخاص ، والتي تتنافى مع طبيعة الاستعمال اللغوي العربي المستمدة من النص ، وميزت بين محاولات التجديد ونظام اللغة العربية المستنتج من طبيعتها .

المبحث الأول : دراسات تدعو للإبقاء على القديم :

يرى كثير من الدارسين اللغة العربية ، بصورة بهية وقدسية رسمها القرآن الكريم لها . إذ زادها هيبة و وقاراً . فأجلوها بعلومها المختلفة ، ووضعوا حولها سوراً منيعاً من التقدس ، لا يسمحون لأحدٍ بتخطيه ، وعدُّوا المساس بقوانينها نوعاً من الكفر والإلحاد في هذا الجانب، ورأوا أنَّ النحاة الأوائل حينما وضعوا هذه الأصول ، وضعوها عن علم عميق ودراية في كلام العرب ، وأشعارهم : العرب (غير المتأثرين بالاختلاط الذي أفرزه الانتشار الواسع للإسلام في المعمورة كلها ، لهذا نجد البصريين يفتخرون بأنَّهم أخذوا اللغة عن : (حَرَشَة الضباب ، وأَكَلَة اليرابيع ...) [1]، واعتمدوا على أصول لتأسيس قواعدهم هي : (السماع ، والإجماع، والقياس) [2] . وقد أقر النحاة في عصرنا ما أقره النحاة الأوائل والمتأخرون ، بتحديد عصر الاستشهاد .

إذ أقر المجمع اللغوي في القاهرة بأنَّ كلام العرب الموثوق بهم هم : (عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع) [3] .

لذا استمر الحفاظ على ما جاء به النحاة الأوائل عبر العصور ، لكونه يمثل رمزاً تاريخياً خاصة ، فأفاض هذا على علمائها إجلالاً وتقديساً ، ثُمَّ لما جاؤوا به من مادة نحوية ولما تطوَّرت الحضارة الإنسانية في العصر الحديث ، وبرزت عوامل جديدة في الحياة، وازداد الاختلاط بين الغرب والشرق ، صار حتماً على اللغة مواكبة مسيرة الحياة وتطورها . فأدى هذا التطوّر إلى ظهور دراسات تدعو إلى التجديد ، والإصلاح في النحو العربي . من خلال التجديد في مناهجه ، وطرق التأليف فيه ، وإعادة النظر في أبوابه . لأنَّ التصنيف الذي أتبعه النحاة قديماً يحتاج إلى دقة أكثر.

فشكل صعوبة واضحة في النحو العربي ، قال الدكتور شوقي ضيف : (لسنا في حاجة إلى أن نُبدي ونعيد في أنَّ النحو العربي ليس صعباً من حيث هو ، و ، وإنَّما الصعب فيه طريقة تصنيفه فإنَّ الحالة الواحدة لا تجدها في مكان بعينه ، وإنَّما نجدها مبعثرة في أمكنة متفرقة)[4].

فكانت هذه الآراء الجديدة تمثل خروجاً على اللغة ، وخطراً على مبادئها في رأي المحافظين ، الذين رفضوا التجديد والتطوير في القواعد النحوية ، ورأوا : (أنَّ أسهل طرق الإصلاح وأجداها نفعاً الرجوع إلى الأصول الأصلية من كتب الأقدمين ، فنرجع بالنحو مثلاً إلى كتاب سيبويه ومؤلفات أبي الفتح الموصلي وشيخهِ أبي علي .....)[5] فتزعم تيار الحفاظ على القديم جماعة الأزهر الشريف في مصر ، ومنهم الدكتور محمد محمد حسين ، مدافعاً عن القديم ، ولا يرغب في المساس بقدسيته ، وأنَّ ما جاء عن العرب يمثل مرحلة النضوج الفكري والحضاري . فضمَّن آراءه في كتاب ألفه بهذا المجال.[6]

ورأى أنَّ هذه الدعوات الجديدة لا تخاطب الجيل الحاضر ، لأنَّهم آمنوا بقدسية اللغة ومكانتها ، بل يخاطبون جيلا آخر ، قد يأخذ بأفكارهم ، فيقول : (وهم لا يسأمون من هذا التكرار لأنَّهم يعرفون أنَّهم يخاطبون في كُلّ مرة جيلاً جديداً غير الذي سمعهم من قبل ، وقد ينجحون في إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل ... لذلك كان فرضاً لازماً على كُلّ عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرَّد عليهم ركوناً إلى أنَّه

قد أذاع الرَّد من قبل)[7] ، ويرى أنَّ : (الخطر كُل الخطر هو في قبول مبدأ التطوّر نفسه)[8] . وتمثل أراء الدكتور محمد محمد حسين ، رفضاً لما جاء به الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) .

وقد تبعه في رفض دعوة التجديد في النحو من الأزهريين أيضاً ، الشيخ محمد عرفة الذي ألف كتاباً عنونه بـ (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة .. إذ رفض الجديد الذي جاء به إبراهيم مصطفى ، ومنتصراً للقديم فقال : « خرج كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى فكان قاسياً على النحاة المتقدمين جميعاً هاجمهم في غير موارية وأبان أنَّهم قَصَروا النحو على بعض منه وهو الإعراب وأنفقوا أعمارهم ولم يكشفوا عن سر ما اقتصروا عليه من ذلك فضلاً عن تقصيرهم في النواحي الأخرى من العربية . فكان حقاً على الأزهر أن يُبين للناس رأيه في هذا الحديث « [9] . ويقول الشيخ عرفة في نظرية العامل ومعاني الإعراب : (مثل هذا لا جديد فيه فإنَّه لا يكون هو التجديد المطلوب في النحو لأنَّ محاولة التجديد إنَّما تكون بالرأي الجديد، ولا يمكن أن تكون بالرأي القديم ، لأنَّه هو الذي يراد إحداث التجديد فيه) [10] . وقد وافق الأستاذ عبد المتعال الصعيدي الشيخ عرفة آراءه وأشاد بها ، لكون التراث العربي القديم غالباً ويجب المحافظة عليه.[11] وبرز الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي ألف كتابه (تحت راية القرآن [12]. إذ قال فيه : (إنَّنا في هذا الكتاب إنَّما نعمل على إسقاط فكرة خطرة ، وإذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه فقد تكون غداً في مَنْ لا نعرفه ونحن مستيقنون أن ليس في جدال من نجادلهم عائدة على أنفسهم إذْ هم لا يضلون إلا بعلم وعلى بينة ... ولكنّا كالذي يصف الرجل الضَّال ليمنع المهتدي أنْ يضلَّ ، فما به زجر الأول بل عِظة الثاني)[13] .

هذا في مصر ، أما في العراق فكان للحوزة العلميَّة دور واضح في رفض التجديد في اللغة العربية ، وقد تمثل هذا الدور بشخص الشيخ محمد الجواد الجزائري الذي انبرى يردُّ على مقترحات اللجنة المصرية ، التي ألفتها الوزارة المصرية عام ١٩٣٨ من الأساتذة : (طه حسين ، وأحمد أمين . وإبراهيم مصطفى ، وعلي الجازم ، ومحمد أبي بكر إبراهيم، وعبد المجيد الشافعي) [14] . فوجهت وزارة المعارف العراقية آنذاك كتاباً إلى الشيخ الجزائري - تطلب رأيه في هذه المقترحات . فانبرى الشيخ محمد الجواد يسجل ملاحظاته التي صدرت في كتاب جمعه طلابه عنوانه : (نقد المقترحات المصرية في تيسير العلوم العربية)[15] .

فتناول الشيخ الجزائري المقترحات المصرية بالنقد ، رافضاً جميع ما جاء فيها ، ولا سيما ما يهم بحثنا النحو العربي.

فقد ردَّ على رأي اللجنة في الاستغناء عن الإعراب التقديري والمحلي فقال : « إنَّ الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلي يجلب على التلميذ عناء مضاعفاً ... ويوجب زيادة أصل بين أصول النحو « [16] .. وأنَّ هذا الإلغاء : (يلزمها أن تؤسس أصلًا جديداً في النحو يكفل بيان أنواع الكلمات المُقَدَّر إعرابها وتمييزها عن غيرها، وبيان أحكامها المختصة بها ، وهذا مزيد عناء على المعلم والمتعلّم)[17] . وعَدَّ رأي اللجنة في عَدِّ (حركات الإعراب أصلية وبعضها فرعية فتنوب الحروف عن الحركات وتنوب عن الحركة في أبواب معدودة) [18] .

فرفض أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب والبناء ، وأن يكتفي بألقاب البناء .[19] ورفض الشيخ الجزائري أيضاً تسمية الجزءين الأساسين للجملة - المسند والمسند إليه - بالموضوع والمحمول لأنَّ اللجنة ارتأت : (هنا أن تأتي بشيء جديد تجاه اصطلاح النحاة ، كان الأولى لها اتباع اصطلاح البلغاء لا المناطقة

، للقرب بين فني النحو والبلاغة من ناحيتي اختصاصهما بلغة العرب ، ووحدة موضوعيهما المختلفين بالحيثيات) .[20] وقوله أيضاً : « وإذا نظرنا إلى الجملة الفعلية ، وإلى اصطلاح النحاة وعلماء البلاغة الجاري على (مسند إليه ومسند) رأينا اصطلاحهم شاملاً للجملة الفعلية من دون تفكير لأي تأويل .... فتفضيل اللجنة لاصطلاح المنطقيين جار على ميول خيالية بعيدة عن حساب التفضيل في صناعة لغة العرب « [21] .

بهذا الأسلوب النقدي اللاذع ردَّ الأستاذ الشيخ الجزائري على مقترحات التجديد ، مفضلاً العودة إلى جذور النحو الأولى في كتاب سيبويه وأوائل النحاة الآخرين . وممن تعصبوا للقديم أيضاً السيد محمد كرد علي . إذ إنَّه : « ساخط على الجديد ويكاد يُصاب بالبرداء ، ولو حلف بالطلاق والعتاق لأهل العصور الزاهرة في العربية . وسرّ عظمة اللغة عنده هو في جمودها على ما وردت عليه « [22] ، أي أنَّه يريد بقاء العربية كما عرفها وقرأ عنها في مصادرها دون تغير أو تجديد .

وكذلك الأستاذ محمد رضا الشبيبي الذي يَعِدُّ التعريب بأنَّه : (خطوة إلى الوراء ، وتطوّر معكوس[23] في واقع العربية ومن الميَّالين إلى هذا الاتجاه أيضاً الدكتور مازن المبارك في كتابه (نحو وعي لغوي) الذي قال فيه : (إنَّ لغتنا العربية ليست مجرد أداة للتفاهم بين الناس يسهل الاستغناء عنها ، أو استبدال غيرها بها) [24].

إنَّ هذه الدراسات وغيرها ، مِمَنْ أهتموا بدراسة القديم الموروث من تراثنا النحوي . إنَّما تشكل حلقة في سلسلة الدراسات المهمة في تاريخ النحو العربي ، على الرغم من نظرتها المنفردة في إبقاء النحو على أصوله ، من دون تحريك شيء فيه .

وهذا أمر فيه نظر فيما يتعلق بتلك الدراسات . إذ تنفي فكرة أنَّ النحو علم يتطوَّر ويتجدد كونه جزءاً من روح اللغة . بل ترفض مجرد النظر فيها ، وأرى أنَّ هذه الدراسات على الرغم مما فيها من قيمة عالية في تقديس التراث والإبقاء عليه ، إلا أنَّها تشكل قصوراً واضحاً في مسيرة ديمومة الحياة لهذا العلم المهم، لأنَّ العلوم الأخرى في تطور مستمر وتجدُّد ، وديمومة النحو العربي وتجدده يكمن في أسرار القرآن الكريم، وما فيه من تغطية شاملة لكل دقائق هذا العلم جديدها ، وقديمها .

فالنظر لما في القرآن الكريم نظراً جلياً ودقيقاً يهدي إلى تجديد الحياة للنحو وغيره من العلوم .

المبحث الثاني : دراسات تدعو إلى التجديد في قديمه وإصلاحه .

حملت الخلافات النحوية التي دارت بين البصريين والكوفيين ، ، عاملاً مهماً يراه الباحث اللبنة الأولى لتأسيس جانب الاعتراض على الرأي الصعب في النحو وإمكانية مناقشته ، وطرح الرأي السهل دون المساس بجوهر المادة النحوية . وما تركه الكوفيون فيه بعض عوامل التيسير والإصلاح في اللغة العربية . إذ كان منهجهم في تناول المادة اللغوية ، أسهل وأقرب إلى طبيعة اللغة وعلومها ، منه إلى المختلط بالفلسفة والمنطق : (حملت آراء الكوفيين الكثير من عوامل التيسير في اللغة وعلومها ، حيث اعتمد مذهبهم على الرواية ، والنصوص العربية الفصيحة من القرآن والشعر والرواية عن العرب ومشافهتهم أكثر من اعتمادهم على الأقيسة النظرية المنطقية)[25] . وقد دفع هذا الأمر كثير من الباحثين في العصر الحديث إلى التفكير في تخليص النحو مما علق به من شوائب المنطق والفلسفة ، وتحميله ما لا يطيق منها . فظهرت دراسات كثيرة اعتمد أصحابها في بعض أفكارهم على أفكار القدماء من النحويين ، ومزج بعضهم آراءه بأفكار غربية أخذ

منها ما فيه فائدة النحو العربي ، ولا يمس جوهره وأصالته . فكانت دعوات الإصلاح والتجديد تهدف بالدرجة الأساس إلى بناء النحو العربي بناءً جديداً من خلال إصلاح منهج طرح المادة النحوية ، أو منهج التأليف فيها. قال الدكتور المخزومي إنَّ : « دراسة العربية تحتاج إلى إصلاح جذري لا يكفيه تنسيق الموضوعات القديمة ، ولا الإخراج الجميل ولا إحداث الطرائق التربوية التي تتناول الموضوعات القديمة كما تناولها الدارسون الأولون ، ويعالجها معالجة سطحية ... « [26] .

فأصبح ضرورياً ظهور دراسات تهتم بتجديد النحو العربي ، وإعادة إصلاحه بمعايير تتلاءم مع الموروث العريق لهذا العلم الخالد. فظهرت نتيجة ذلك دراسات كثيرة في العصر الحديث تهدف : (إلى التيسير والتسهيل وبعضها يهدف إلى الإصلاح) [27] ، على الرغم من أنَّ مهمة التجديد ، والإصلاح ليست هدفاً سهلاً لا بل تشكل : (هدفاً من أخطر الأهداف في نهضتنا الفكرية حتى نتجنب التخبط في أساليب التعليم وفي وسائله).[28]

فالنحو العربي يحتاج إلى : (إعادة النظر في قواعد اللغة وخاصة النحو وتخليصها من تلك الشوائب الغريبة، التي اختلطت بها على مر القرون ، تيسيراً لهذا النحو وتسهيلاً لتعلُّمه وتعليمه ، ونحن واثقون من أنَّ إعادة استقراء الكلام العربي في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأشعار العرب ، وأقوالهم ، ودراسة آراء النحويين مهما تكن اتجاهاتهم ومذاهبهم ستؤدي بنا إلى نتائج مهمة ، وخطيرة ، وتوصلنا إلى وضع القواعد والضوابط الصحيحة ، والسليمة) [29] .

فإصلاح الدرس النحوي وإعادة تجديد أبوابه وترتيبها على وفق أسس جديدة ، يُعَدُّ الخطوة الجريئة الأولى في طريق تجديد النحو وتيسير تعليمه . وهذا العمل يتطلب جهوداً غير اعتيادية من النحاة المحدثين وإليه أشار الدكتور الجواري بقوله : (ولا ريب أنَّ عملاً ضخماً مثل هذا العمل إنَّما ينبغي أن تتصدى له جهود متضافرة مجتمعة، في معاهد البحث العلمي، ويتفرغ له متخصصون ، ضربوا في الثقافة القديمة بسهم وافر ، وعرفوا عن أصول هذا العلم وفروعه ، وكيف نشأ ؟ ، وكيف تطور؟ ، وكيف تحول من حال إلى حال.؟[30] .

فالإصلاح إذن لا يأتي من فراغ أو لكون هذا الباحث درس أطراف النحو ، وعرف بعض أموره ، إنَّما عليه أن يأخذ من القديم الجانب الأوفر ، فيعرف دقائق الأمر ، وينظر فيما اختلف فيه النحاة من حقائق ، و مسائل ثُمَّ يتجه إلى ما يريد من بحث ، بعد أن يضمن ثقته بقدرته على الإبحار في محيط النحو العربي ، الزاخر بالأسرار.وليس لأي شخص أن يغامر بالقول ، وعرض الرأي إذا لم يمتلك تلك الناصية من المعرفة . لذا فقد ظهرت في العصر الحديث ، دراسات متعددة، أشار البحث إلى بعضها في دعوات التيسير في فصل سابق. فالدراسات التي يسجلها البحث هنا مماثلة لتلك المشار إليها و رُبَّ قائلٍ يقول هذه محاولات لتيسير النحو العربي . فلماذا تقع تحت هذا الباب من القول ؟ .

نقول : إنَّ مثل هذه الدراسات قد تمخض عنها آراء ، ومسائل نحوية جديدة ، فيها الكثير من العمق في التراث على الرغم من حداثة أمرها ، فهي ثمار فكر عربي فذ . أحيت النحو ، وأحست بحاجته إلى التجديد، لهذا وقفت هذا الموقف الخالد . فأعطت ثمار عملها دراسات جديدة في مادتها ، وطريقة عرض مسائلها ، مستندة إلى الموروث القديم، وغير بعيدة عن جوهره . وأصحاب هذه الدراسات يرون عملهم هذا : (لا يمس

النحو في صورته القديمة ، ولا يمتد إلى أصوله ومصطلحاته، وإنَّما يقتصر على الحذف والاختصار وإعادة ترتيب الأبواب والموضوعات ، ثُمَّ تمهيد ما توعر فيها ، وتقريب ما نأى عن متناول الطالب) [31] . إنَّ التجديد في الدراسات الحديثة نابع من ضرورات العصر الذي نعيشه ، لكون النحاة الأوائل كانوا يعيشون ظروفاً مختلفة ، وطبيعة مختلفة ، وفي ظل ميدان اجتماعي غير مُعقد ، كون الاختلاط مع الأمم المجاورة آنذاك محدداً بضوابط الدين وسياسة الدولة الواحدة - الدولة الإسلامية - (فصنيع الأقدمين كان منسجماً تمام الانسجام مع الظروف التي صادفتهم) [32] . وقد اختلفت ظروف اليوم عن الأمس. لأنَّ الدولة الإسلامية لم تعد واحدة في نظامها وقوامها . وتعدد الطامعون في الأمة الإسلامية ودينها . وبما أنَّ اللغة العربية مرتبطة بالدين الإسلامي ، ارتباطاً وثيقاً ، فقد كثر محاربوها نكاية بالإسلام. وبسببه فرض على نحاة اليوم نمط جديد من الحياة اللغوية ، لازدياد الاقتراب من اللغات الأخرى ، وكثرتها بعد أن كانت محدودة سابقاً بعدة لغات ؛ كالفارسية، واليونانية ، والهندية، والسريانية . واليوم كثيرة هي اللغات تحتك باللغة العربية ، نتيجة الاستعمار وما فرضه . وكذلك البعثات الدراسية التي إلى خارج المحيط العربي . وهذا الأمر دعا إلى اختلاط جديد من نوعه ، اختلاط فرض تطورات غير عادية على اللغة العربية . فنتجت دراسات كثيرة ابتعد بعضها عن جوهر اللغة وواقعها سيأتي الحديث عنها لاحقاً. وأخرى أخذت من اللغات الأخرى ما يُنمي ويطوّر لغتنا العربية ، بما ينسجم وطبيعة الظروف ومستجدات العصر ، دون أن يمس هذا جوهر اللغة وأصالتها . وقد بين الأستاذ أحمد حسن الزيات عن حاجة اللغة لهذه الدراسات بأن قال : « اللغة ناقصة، لأنَّها من عمل الإنسان ... والناقص عِرْضَةٌ للفساد والجمود والتخلف وموضع للزيادة والتجديد والتطور لذا كان الاجتهاد في اللغة وعلومها أمراً تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة « [33] .

إذن الضرورة وطبيعة الحياة تحتم علينا هذا التجديد . وقد كثرت الدراسات النحوية التي تدعو إلى التجديد في القديم وإصلاحه ، وأرى أنَّ كل محاولات التيسير قديماً وحديثاً، هي تجديد وإصلاح ، لذا يتلاقى الأمران هنا . والدراسات في هذا الجانب كثيرة أكتفي بالإشارة إلى بعضها من أجل تعزيز البحث . هي:

أ. دراسة الأستاذ إبراهيم مصطفى التي ضمنها كتابه (إحياء النحو) إذ تُعَدُّ من هذا الدراسات المهمة في تجديد النحو العربي ، وأولها في العصر الحديث . قال الدكتور أحمد مطلوب : «كتاب (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى من أهم المحاولات الحديثة في تجديد النحو « [34].

ب. دراسات الدكتور مصطفى جواد ، التي ضمنها مقالاته في إصلاح منهج النحو العربي وتجديده ، نذكر منها :

1. (النحو الكوفي وفائدته في تيسير القواعد العربية)[35] .
2. (المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية) [36] .
3. (مشكلة اللغة العربية وحلها) .[37]
4. (قل ولا تقل)[38] ، ومما جاء فيه من مسائل مهمة كثيرة منها قوله:

(فقل : هذا يكفي في البيان وكاف في البيان .

ولا تقل : يكفي للبيان ، ولا كاف للبيان ...

قل : تبقيتُ الشيء فهو مُتبقي . ولا تقل : تبقى الشيء فهو مُتبقٍّ . وقل هذا المُتبقى من المال

والدنانير ، ولا تقل هذا المُتبقي بالياء)[39] .

جـ - دراسات الدكتور أحمد عبد الستار الجواري حين أظهر في دراساته أسلوباً جديداً يدعو فيه إلى إصلاح وتجديد منهج النحو العربي، وتخليصه مما علق فيه من شوائب المنطق والفلسفة ، وقد ظهر هذا جلياً في دراساته :

1. نحو التيسير عام1962
2. نحو الفعل عام ١٩٧٤
3. نحو القرآن عام 1974 .
4. نحو المعاني عام ١٩٨٧)[40] .

ومن أمثلة تطبيقه وقوفه عند الجملة الاسمية التي حُذف أحد ركنيها ، ولم يقدَّر المحذوف ، والذي يكثر في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : (وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ)[41].

قال الجواري : « إنَّ بعض الأسماء التي يؤتى بها في حالة الإسناد ، تكون مشحونة بالمعنى والإيحاء ، بحيث لا تحتاج إلى ما يوضحها أو يُسند إليها ، وهذه كلها طرق في التعبير الفني جَنَى عليها تَمَسُّك النحاة بأجزاء الجملة ولا سيما طرفاها ، وتأويل الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضمحل أثره في النفس « [42] ، ويرى أن تقدير المحذوف هدر للمعنى وتضييع لجمالية الأسلوب القرآني. [43]

د- دراسات الدكتور مهدي المخزومي ، التي أراها منبعاً حقيقياً للتجديد في الدراسات النحوية الحديثة وهي:

1. آراؤه التي ضمنها بحثه للدكتوراه : (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) [44] عام 1953 .
2. (دعوة جادة في إصلاح العربية) [45] .

(في النحو العربي نقد وتوجيه) عام1964 .

(في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) عام 1966.

والمخزومي يرى أنَّ (حاشا) يكثر استعمالها (للتنزيه) أكثر من الاستثناء ، فقد قال عن الفعل (حاشا) إنَّه (ليس من الاستثناء في شيء ، وهو بالتنزيه أشبه ، والواقع أنَّ استعمال (حاشا) في الاستثناء قليل ، ولذلك كان سيبويه يَعدُّها في حروف الإضافة ، ولذلك يخفض ما بعدها في أكثر الاستعمالات[46] وقد استبدل بقوله تعالى : (حَاشَ للهِ مَا هَذا بَشراً) [47] .

هـ - دراسات الدكتور شوقي ضيف ، التي بناها متأثراً بأسلوب ابن مضاء القرطبي ، ومنهجه في إصلاح النحو العربي إذن (بعثت نظرية ابن مضاء وأسهمت في تغذية محاولات التجديد والتيسير والتي قامت استجابة لروح العصر) [48] . واتضح هذا التأثير بعد تحقيقه كتاب القرطبي (الرد على النحاة) فظهرت للدكتور ضيف دراسات تدعو إلى التجديد في النحو العربي ضمنها كتابيه :

1. (تجديد النحو) عام ١٩٨٢.
2. (تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده) عام ١٩٨٦ .

وقد جاء شوقي ضيف بتقسيم جديد للجمل في العربية وألغى تقسيم النحاة إياه - الجمل التي لها

محل من الإعراب ، والجمل التي لا محل لها من الإعراب - وكان تقسيم الجملة كالآتي :

(أ - جملة مستقلة - وهي :

1- الجملة المستأنفة.

2- الجملة الحوارية .

3- الجملة المعترضة .

4 - الجملة المفسرة .

5- الجملة المعطوفة على إحدى الجمل السابقة .

ب - جملة خاضعة غير مستقلة - وهي :

1- جملة الخبر .

2- جملة الفاعل ونائبه .

3- جملة المفعول به .

4 - الجملة الواقعة حالاً .

5- الجملة التابعة : نعتاً أو عطفاً أو بدلاً

6- جملة الصلة .

7- الجملة المضاف إليها .

8- جملة جواب الشرط .

9 - جملة جواب القسم .

11- الجملة المعطوفة على إحدى الجملة السابقة .) [49]

والدكتور ضيف بهذا الأسلوب التجديدي الذي بناه موافقاً رأي ابن مضاء القرطبي في إلغاء ما جاء به النحاة القدماء من تسميات، لكنَّه أسبغ عليه من روحه العصرية ما يوحى إلى اهتمامه الكبير بهذا العلم الجليل .

د - ليس هذا فحسب بل توجد دراسات كثيرة في مجال تجديد النحو العربي كدراسات الدكتور إبراهيم السامرائي ، وآراء الأستاذ عباس حسن ، وكتابات الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، والدكتور أحمد مطلوب وغيرهم . ولا يمكن تجاهل ما قامت به(المجامع العلمية اللغوية) التي كثيراً ما عقدت مؤتمرات هدفها تجديد النحو وتيسيره. والواقع أنَّ الحديث طويل عن هذا الموضوع إلا أنَّ البحث قَصَرهُ على تلك الإشارة تعزيزاً لموقفه ، لأنَّ مجال الدراسات النحوية الداعية إلى تجديد النحو دون المساس بجوهره وأصالته كبير ، والبحث العلمي مستمر ما دام في الأمة رجال آمنوا برسالة اللغة العربية ، التي خلدها القرآن الكريم، وما يحمله من أسرار وخفايا ، هي في صميمها تعطي ثماراً يمكن الاعتماد عليها في أي منهج وأسلوب جديد ، لأنَّ القرآن : (اشتمل على كل المحتاج إليه من أحكام اللغة ، سوى الشاذ والنادر ، وما لا تقتضيه الحاجة وزيادة . نعم وزيادة والدليل على ذلك أنَّ النحو منذ نشأته حتى الآن لم يستوعب كل ما تمثل في القرآن من الأحكام والتراكيب الأسلوبية) [50] . ولا يزال أمر تجديد النحو العربي يلوح في الأفق ، لأنَّ العربية قابلة للتطور والتجدد ، بدليل قابلية أساليبها على المطاوعة ، وأقصد بالمطاوعة ، هو أن يتحول الفعل الثلاثي اللازم إلى

متعد ، والمتعدي إلى لازم ولا يتم ذلك إلا بطرق منها : (زيادة الهمزة قبل فائه نحو : أَكْرَمَ ، وأَنْزَلَ ، وبتضعيف عينه نحو : عَظَّم ، وَكَرَّم)[51] ، أما الفعل المتعدي فيتحول إلى لازم بطرق منها : (تضمين الفعل المتعدي معنى فعل لازم نحو: قوله تعالى (فَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَتِي) [52] بمعنى (بَارِكْ) ، ... والتأخير عن المعمول نحو (إِنْ كُنتُم لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُوْنَ[53])) [54] . وقد يقول قائل : إنَّ هذا الأمر متعلق بالصرف ، فنقول لاريب في ذلك لكون الصرف قسيم النحو ، وهو خير دليل على مطاوعة العربية وعدم جمودها .

المبحث الثالث : دراسات تدعو إلى التغيير والتجديد

بعدما نظرنا في نوعين من الدراسات النحوية بإيجاز، وصار لا بُدَّ من أَنَّ نقف أمام نوع ثالث منها . وهذا النوع يتمثل بدعوة شاملة إلى التغيير والتجديد الجذري ، دون الالتزام بمآثر النحو العربي . وقد حمل راية هذه الدعوة فريقاً ، آمن بصعوبة النحو العربي ، واستقرار عسرته في أذهان الناس فوجد : (أنَّ العربية ظلت محتفظة بسماتها الأصلية دهوراً طويلة ، فخالفت بذلك غيرها من لغات الأرض التي باد أكثرها، وأصاب التغيير بعضها ، فانقطع ما بين ماضيها وحاضرها ، فحاول هذا الفريق أن يمدَّ إلى العربية يد التغيير والتبديل ، متستراً في عمله هذا برداء التيسير والتحديث) [55] .. وهم بهذا المعنى يدعون إلى تغيير حقائق النحو العربي و (إقامة نظام لغوي جديد على أنقاضه) [56]. وإن أصحاب هذه الرؤيا ليسوا إلا حاقدين على اللغة العربية ، وساءهم بقاؤها طوال هذه القرون من الزمن دون أن تتغير وتتبدل أصولها وحقائقها فكانت لهم (دعوات تحمل في طياتها معاول هدم لأسوار العربية الحصينة من النحو ، والصرف ، والخط العربي ، إذ أخذت تنحرف فيما يسمى بالحرص الشديد على العربية عن الصراط المستقيم)[57] ، الذي يجب الالتفات إليه هنا. إذ إنَّ هذه الدراسات لم تنظر إلى التراث النحوي بإمعان و ودقة ، ولم تطَّلِعْ على كل النحو في الكتب القديمة ، بل أخذوا يصيدون مواضع الصعوبة والعسرة ، ليجعلوها سبباً يحتجون به لإقامة دعوتهم هذه ، والفريق الذي دعا إلى التجديد والتغيير فعلاً : (لم يكن همهُ تجديد الدراسة النحوية ، أو النفاذ إلى فهم جديد لحقائق اللغة ، وإنما رمى من دعوته إلى مسخ هذه الحقائق وابتداع نظام لغوي جديد ، وكان شافعه إلى ذلك ما زعموه من صعوبة النظام اللغوي وعسر القواعد الموروثة) [58]. وقد انقسمت هذه الدراسات في دعوتها إلى تجديد النظام اللغوي في العربية إلى اتجاهات متعددة :

اتجاه أراد تغيير الحروف العربية بأخرى أجنبية ، وثانٍ أراد من العامية مشاركة الفصحى ، بل إشاعتها في المجتمع واستعمالها بدلاً من لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف ، والشعر العربي العريق وثالث أراد دفن التراث النحوي برمته مع علمائه الذين ابتدعوه ، وإحلال أفكار ونظريات أخرى غيره . وأرى أموراً قد تُشكّل سبباً عند بعض أصحاب هذه الدراسات إن لم يكن كلهم ، هي :

1. التبعية للأجنبي في السلوك والعمل.
2. التأثر الشديد باللغات الأجنبية ولا سيما الانكليزية والفرنسية .
3. الحقد الدفين على اللغة العربية وعلومها ، لأسباب سياسية ، ودينية ، واجتماعية .

وقد يكون وراء هذه الدعوات عوامل مادية ، دفعت أصحابها للرضوخ أمام المال وإغرائه ، فكتبوا ما كتبوا من أجل الكسب دون إيمان، وقناعة . ولمعرفة هذه الدراسات نسوق بعض الأمثلة بالإشارة ، ونفصل القول في واحدة لم يتطرق

إليها البحث سابقاً [59] ، زيادة في الفائدة وتعزيزاً لما ذهب إليه البحث من رأي :

أ. (إصلاح اللغة العربية - للأب انستاس الكرملي) [60] الذي دعا فيه إلى إصلاح قواعد اللغة العربية قائلاً : (يجب إصلاح قواعد اللغة وزيادة حروف جديدة على حروفها الأصلية واتخاذ حركات جديدة زيادة على ما عندنا) [61] . وأراد استبدال حروف العربية بالحروف اللاتينية . وممن سار على نهج الكرملي في دعوته استعمال الحروف اللاتينية بدلاً من العربية الدكتور داود الجلبي الموصلي الذي قال : (كنت أول من اقترح استبدال الحروف اللاتينية من الحروف العربية بعد أن بدل التُّرك حروفهم، ولما كنت ولا أزال على رأيي في لزوم تبديل حروفنا) [62].. وغيرهم ممن دعا إلى نشر دراسات تهتم بتغيير الحرف العربي ، الحرف الذي يَعُدُّونَه بحسب رأيهم سبباً في نقل العربية وصعوبتها متناسين خصائص لغتنا الجميلة ، وطرائق نظمها التي تنفرد بها عن اللغات الأخرى .

ب. دراسات تدعو إلى إلغاء الفصحى وتثبيت العامية . ومغزى هذه الدراسات إحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى . وتبنَّى هذه الدراسات والدعوة إليها عدد غير قليل من العرب الذين استهوتهم رغبات الأجنبي للأسف الشديد ، وأحبوا لغته وحياته ، متناسين أصالة تراثهم وقدسية لغتهم . ومن هؤلاء : (سلامة موسى ، وأحمد لطفي السيد ، وقاسم أمين، والخوري مارون غصن ، ومحمود تيمور .....) [63]

ج. دعوة شريف الشوباشي ، وكيل وزارة الثقافة المصرية عام ٢٠٠٤ في كتابه تحيا اللغة العربية : يسقط سيبويه)[64] .

د. دراسة الأستاذ (يوسف السودا) في كتابه (الأحرفية أو القواعد الجديدة في العربية)[65] وسيكون هذا الكتاب مثالاً لهذا النوع من الدراسات.

تمثل دراسة (يوسف السودا) ثورة انقلابية على كل ما جاء به النحاة الأقدمون والمتأخرون من قواعد وأصول لأنَّ هذه الدراسة غيرت كُلَّ القواعد تغييراً جذرياً شاملاً، دون الاحتفاظ بشيء من روح اللغة وأسسها الأولى . ويدعو المؤلف في كتابه إلى تغيير جذري ، وجديد مخاطباً بذلك أبناء العربية بقوله : (إلى أبناء الضاد أقدم هذا الكتاب في قواعد اللغة العربية وقد بُنِيَ على أسس جديدة آمل بأنَّها تجعل القواعد أقرب منالاً مما هي عليه ...) [66] ومضى المؤلف يطرح أفكاره في الكتاب المكون من (ثماني وخمسين ومئتي صفحة) من القطع الوسط مُقسم قسمين هما :

أ- القسم الأول : المقدمة وتتألف من (اثنتين وثمانين صفحة) متضمنة فقرات وُضِعَ لها أرقاماً لاتينية، ولكل فقرة ما يقابلها بالإنكليزية وهي :

1. نظرة جمالية .
2. المصطلحة الجديدة .
3. قواعد عامة جديدة وأبواب محذوفة .
4. أبواب معدلة .
5. الخلاصة .

وقد ضمت ثنايا تلك الفقرات ، عرضاً موجزاً عن ازدهار اللغة قبل ظهور قواعد النحو ، لأنَّ المؤلف يرى أن العربية كانت سهلة ، ولا صعوبة فيها قبل أن يُكتب النحو . ثم تناول اختلاف الروايات في المسألة الواحدة وتأويلات النحاة ، وما أسسوه من قواعد معقدة ، من ذلك الاختلاف في عمل (اسم الفاعل) أو عمل (إياك) أو عمل (لا) وأنَّ تأويلاتهم مجرد بلبلة [67]. وخطَّأَ تسميات النحاة ، وأن القواعد تاهت ألف وثلاثة مئة عام ، وعاب على المتقدمين والمتأخرين عملهم على الرغم مما بذلوه من جهود في سبيل بناء قواعد النحو العربي [68] . ويرى أنَّ النحاة القدماء لو عرفوا حال العربية الآن لما سرهم هذا فيقول : « لو قام اليوم الأئمة الأقدمون ورأوا أنَّ المتأخرين لا يزالون عند القواعد التي وضعها القرن الثاني لعتب سيبويه والزمخشري، وابن مالك على نحاة اليوم واستفزوهم إلى إعادة النظر في الأسس القديمة، حرصاً على اللغة وسعياً لتذييعها بين أبنائها ، ونشرها بين الأمم » [69] ، ويرى (السودا)(أنَّ برنامجه يلائم المرحلة التي هو فيها فيقول : « يعوزنا سنة ١٩٥٩ أن نضع قواعد لسنة ١٩٥٩ . قواعد يحفظها التلميذ في بضع ساعات ، طيلة بضعة أشهر إلى جنب غيرها من اللغات والعلوم . قيل لي : ولكن مسَّ الأسس معناه ثورة في اللغة . قلت : لتكن الثورة إذا لم يكن خلاص اللغة إلا بثورة « [70] . ومما استعمله المؤلف في هذا القسم موضوع المصطلح الجديد ، إذ وضع فيه مصطلحات خاصة تقابل مصطلحات النحو، وهي كما وردت :

(1- مصطلحة - 2 - أحرفية - 3- فعيل - 4- تميم -5- مظهر -6- تصريف وصرف – 7 - أفعال مساعدة -8- يعربيات) [71]، ويقابلها في العربية : (مصطلحة بدلًا من القول (مصطلحات) ، وأحرفية بدلًا من (أجرومية)، وفعيل بدلاً من (فاعل) و(نائب فاعل) ، وتميم بدلاً من (المنصوبات - المفعول به ، والحال ، والمفعول المطلق- ومظهر تشترك مع (تميم) ، وأفعال مساعدة بدلاً من (كان وأخواتها) ...)[72] . فتصبح (القاعدة الجديدة : أنَّ كلمة فعيل إذا أسند إليها فعل معلوم تدل على من فعل الفعل : ذَبَحَ اللحَامُ الخَرُوْفَ) [73] . وكلمة : (تميم بدلا من كلمات مفعول به ، مفعول فيه ، مفعول معه ، مفعول لأجله ، مفعول مطلق ، حال)[74] . ومثال ذلك قوله (قَتْلَ الْجُنْدِي اللص) فـ (اللص) عنده تميم بدلًا من (مفعول به) ، وهو غير مكترث بالأخذ عن الأجنبي ، لأنَّ العلم عنده لا حدود له، قال : (ولم أجد ضيراً في اللجوء إلى اللغات الأجنبية، باعتبار أنَّ العلم لا وطن له ولا عصبية فيه.....)[75] .

ب - القسم الثاني : يتألف هذا القسم من (مئة وخمس وسبعين صفحة مخصصة بالقواعد الجديدة التي مهد لها في المقدمة ، إذ قسَّم المسائل فيه قسمين : الأول منهما عني بالصرف ، وبعض المسائل النحوية الممزوجة معه ، والثاني بأنظمة النحو : قال : (إنَّ المسائل في العربية قسمان : القسم الأول : يتعلق بصميم اللغة وجوهرها ، أمثال حركة عين المضارع في الفعل الثلاثي ، مشاكل الاسم الممنوع من الصرف ، جواز ما لا ينصرف في الشعر وعدم الجواز في النثر . تذكير المؤنث وتأنيث المذكر في العدد ، الاضطراب الواقع في المشتق من الفعل الثلاثي بين اسم النوع واسم المرة . والبلبلة بين (لا) المشبهة بـ (ليس) ومعمولها ، وبين (لا النافية للجنس) ومعمولها مشكلات كتابة الهمزة ، ومشكلات الكسرة ، والفتحة في (إنَّ) .... إلى آخر ما هناك من مواضيع تتعرض للغة في كتابتها ، وصياغتها ، وتركيبها ، ومألوفها من رفع ، ونصب ، وجر.

والقسم الثاني : يتعلق بالقواعد التي ارتآها النحاة أنظمة ووضعوا اللغة في إطارها ، وأطلقوا على تلك الأنظمة أسماء ، وجعلوا لها تحديدات) [76] .

ومن المسائل التي عرضها :

1. قسم الإعراب نوعين هما : (الإعراب الغراماطيقي [77] هو تفكيك الجملة كلمة كلمة لمعرفة نوع كل كلمة وعملها ومحلها من الإعراب) ويقصد (بعمل الكلمة ومحلها من الإعراب ، يذكر أن الكلمة إذا هي فعيل ، أو تميم ، أو مظهر) [78] . بمعنى إذا كانت الكلمة فاعلًا أو نائباً عن الفاعل ، أو أنَّها مفعول به ، أو مفعول فيه ، أو حالا، كما يرى ذلك المؤلف .

   والإعراب الثاني هو : (الإعراب المنطقي - لا يأخذ الكلمة بمفردها ، بل يأخذ الجملة بكاملها- فيُعنى بتقسيم الجمل على أنواع بحسب المعنى وحسب علاقة كل جملة بأختها) [79] .
2. عدَّ المؤلف الأسماء : (الضمائر ، الاسم الموصول ، اسم الإشارة ، أسماء الاستفهام) كُلُّها ضمائر، فقال : (اعتبرنا الأنواع الأربعة ضمائر ، كما تعتبرها كل اللغات ، لأنَّ الاسم يدلُّ على شيء بنفسه ، والضمائر الأربعة لا تدل على شيء بنفسها بل هي جميعاً تحلُّ محل الاسم وتُغني عن تكراره) وقد عبر عنها بـ (الضمير الذاتي، الضمير الموصول ، ضمير الإشارة ، ضمير الاستفهام [80].

ومن خلال الاطلاع على مادة الكتاب وجدتُ التأثر الواضح عند المؤلف بما في اللغات الأجنبية ، وأنَّ القواعد التي رسمها المؤلف على وفق قواعد تلك اللغات ، لا تنسجم مع الذوق العربي ، والقواعد النحوية العربية، لكونها تمثل أصالة التراث وعراقته ، ولأنَّها لم تتأثر بشرقي أو غربي، فبقيت محافظة على روحها السامية وأصالتها ، وأعتقد أنَّ أداء المؤلف هذا ليس سوى سحابة صيف تمرُّ من غير تأثير ، لذا مرت هذه الدعوة على العربية من غير أن تهز جفناً أو بدناً لها ، لأنَّها لغة راسخة في عمق التاريخ أولا ، ومتجددة متلائمة مع ما في العصر من جديد ثانياً . ولست الوحيد في نقدي كتاب (الأحرفية) ، فقد تناوله آخرون بالنقد والتحليل، ومنهم الباحثة (نسرين العلواني) في بحثها الموسوم (البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة)[81] ، فهي تستغرب من أسلوب المؤلف وطروحاته ، وكيف أنه سيواجه طلابه بمثل هذه الأفكار ؟ . قالت (والملاحظ على كلام الباحث هذا أنه يحاول أن يسلخ عن العربية روحها ، فكيف يفسّر لطلابه قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ)[82] ، وكيف يُفهِمُ الطالب لغته العربية الموحية المعبرة الجميلة من غير معنى أو دلالة ؟ ، وكيف تكون له ملكة لغوية معنوية يعبر فيها بأساليب العربية البلاغية الرائعة ؟ ، كان الأولى به أن يؤكَّد أهمية دراسة المعاني والاستزادة منها في درس العربية بفروعها المختلفة ، وهي طريقة ناجحة ومجربة في قاعات الدرس)[83]. وأُؤَيد هذا الأمر ، وأؤكد على أهمية الوقوف عند دراسة المعنى النحوي ، والعودة بالنحو إلى جذوره الأولى قبل دخول الفلسفة وما شابهها عليه . وخلاصة القول إنَّ هذه الدراسات التي أراد أصحابها أن يغيروا أصول العربية ، ويأتوا بشيءٍ آمنوا أنه جديد ، ويمكن الاعتماد عليه يوماً ما وهذا وَهْمٌ كَبِيرٌ وقعوا فيه، لأنَّ العربية محفوفة بسور منيع من العقول المستنيرة بعمق الماضي العريق ، وبروح القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة العريقة ، وهو محفوظ من الزيف والخلل بقدرة الله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[84].

لذا فإنَّ مثل هذه الدراسات ليست سوى خواطر عبر بها أصحابها عن خلجات نفوسهم . وعلى دعاة التجديد أن يبتكروا ويطوروا ، بدلاً من اللوم والشكوى من قوة النظام النحوي الموروث ، بل عليهم أن لا يصفوا هذه القوة جموداً . وأن يبحثوا عن عناصر تزيد هذه القوة وتبثّ الحركة في الرَّاكد من القواعد ،

وليس القفز إلى واقع جديد بعيد عن هذا الموروث القوي بتجديد . ومن هنا أرى ، أن يقف هؤلاء موقفاً آخر فيه إنصاف لتراث العربية .

النتائج:

- التَّجديد النحوي عند القدماء كان يتجه نحو معالجة القضايا مع مراعاة توحيد الأصل وإتمام البناء .
- مسألة التبويب للمادة النحوية مازالت مبتغى يلوح في أفق الدارسين قديماً وحديثاً، حيث أثرت هذه المسألة في الدرس النحوي ابتداء بنظريات النحو العربي وانتهاء بمحاولات التيسير القديمة الحديثة، والدعوة إلى إلغاء نظرية العامل وتجديد القواعد النحوية، وإعادة النظر فيما التبس منها.
- الدرس النحوي القديم بدأ وصفياً لكنه تحول أواخر القرن الثالث للهجرة وبعده إلى المعيارية لأغراض تعليمية كما يفهم من قول ابن جني في بيانه حد النحو، وأنه وضع ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنه ردَّ به إليها .
- أهم محاولة جريئة مسَّت منهج النحو العربي وطالبت بتغييره جذرياً وإعادة النظر فيه هي محاولة ابن مضاء القرطبي في كتابه الردّ على النحاة»، والتي جاءت على شكل هزة عنيفة للنحو التقليدي، لأنها مسَّت أصوله التي بُنِيَ عليها، وقد دعت في عمومها إلى هدم نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث ورفض القياس وإسقاط التمارين غير العملية.
- الإعراب والعلامة الإعرابية جزء من النظام النحوي العربي لا يمكن الاستغناء عنه، ولا يمكن استبعاد العلامة الإعرابية إلا في حال أمن اللبس.
- إن الغاية من تجديد النحو تتجاوز مرحلة تعليم القواعد على أهميتها في المقام الأول، ولكنَّ تجديد النحو مطلب أساسي ونقطة ارتكاز، إذا أردنا لأي مشروع يتعلق بتجديد أساليب اللغة العربية تعلماً وتعليماً واستخداماً أن يتقدم على المدى القريب والبعيد.
- الدرس النحوي الحديث قد تجنى على النحاة القدامى عندما اتهمهم بتعسير النحو، باتباعهم منهج التأليف الذي قام على نظام الشروح والحواشي والتعليقات، وذلك منهج اقتضته طبيعة القرون التي ساد فيها، فهو من جهة استجابة لطبيعة المتعلمين، ومن جهة أخرى اتساق مع إجلال المجتمع للنحو ومعلمه كما أوضح ابن هشام في مقدمة المغني.
- النحاة المحدثون اختلفوا كما اختلف القدامى وأحياناً أكثر مما يدل على أن النحو مرتبط أشد الارتباط بالمعنى، والمعاني مخزونة في أذهان أصحابها، ومن هنا كان اختلاف النحاة في التأويل والتقدير في أحايين كثيرة دليلا على سعة اللغة بحسب قدرة الناطقين بها أكثر من كونه دليلا على تعصب النحاة.
- بيان هدف التجديد الذي يسعى إلى لفتح أبواباً واسعة للنظر إلى التراث النحوي ، ويشترط في التجديد النحوي ألا يقوم على الاختصار وحذف الشروح النحوية، بل ينبني على العرض الجديد

الموضوعات النحو العربي، حيث قصد جل المصلحين فكرة التجديد لا بتحديد المادة النحوية ، لأنَّ المادة النحوية لا تجدد ، وإنما خصصوا تجديد الطرق والأساليب والمناهج والتبويب للتخفيف من ثقل المادة وجعلها سهلة مبسطة.

- من خلال تحليل كثير من هذه المحاولات تبيّن لنا فشلها لأنَّ أصحابها انطلقوا في قراءاتهم النقدية للتراث من منطلقات قاصرة تنم عن غياب تصور واضح للعلم وما تقتضيه التطبيقات التربوية من مبادئ أساسية في صناعة التعليم ومحاولات تيسير النحو في الكتب المدرسية لم تُقدّم جديدا، ولم تفعل شيئا يعيد للنحو حيويته، وكان الفرق شاسعا بين نظريات التجديد وكيفية تطبيقها.
- هذه المحاولات لم تصحح وضعا، ولم تجدد منهجاً، ولم تأتِ بجديد إلا إصلاحاً في المظهر وأناقة في الإخراج. أما القواعد فهي هي، وأما الموضوعات فكما ورثناها لم يُصبها من التجديد إلا نصيب ضئيل؛ كثافة من حيث الموضوعات وغزارة في المفاهيم والمصطلحات النحوية، وغموض في لغة التعريفات التي تبدو أحياناً، ألغازاً ورموزاً لا يتسع عقل الدارس لفهمها وإدراك معانيها الدسمة.

الهوامش:

(1) السيوطي - الاقتراح . ص ١١٤
(2) المصدر نفسه . ص١٣
(3) أبو مغلى : د. سميح - الأصول في اللغة العربية وآدابها - دار القدس - عمان - ١٩٩٠
(4) القرطبي - الرد على النحاة . ص ٥٥ التحقيق
(5) القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق . ص ١٦٠
(6) حسين : د. محمد محمد - حصوننا مهددة من داخلها – ط٥ - الكويت ١٩٧٨
(7) حسين : محمد محمد - حصوننا مهددة من داخلها . ص ٢١١
(8) لم يتسن للباحث الاطلاع عليه ٩٥٦
(9) نقلا عن / الصعيدي - النحو الجديد /
(10) المصدر نفسه . ص٧٩
(11) ينظر / المصدر نفسه . ص ٧٨
(12) الرافعي : مصطفى صادق - تحت راية القرآن - ط٧ - مصر - ١٩٧٤
(13) الرافعي - تحت راية القرآن . ص ٥
(14) الصعيدي - النحو الجديد . ص ٨٤
(15) الجزائري - نقد المقترحات المصرية في تيسير العلوم العربية عام ١٩٥٩. ويجدر بنا أن تشير إلى أنَّ الشيخ (محمد رضا كاشف الغطاء) قد ردَّ على المقترحات المصرية أيضاً بكتابه (نقد المقترحات المصرية) في إجابته طلب وزارة المعارف الموجه إليه أيضاً، إلا أنَّه كان ميالاً إلى التيسير ولم يتعصب إلى القديم فيه كما فعل الشيخ الجزائري، كما يُعَد كتاب الشيخ الجزائري أكثر سعة في تناول المادة النحوية من كتاب الشيخ محمد رضا .
(16) الجزائري - نقد المقترحات المصرية . ص ٣١ و ٣٢.
(17) المصدر نفسه . ص ٣٥
(18) المصدر نفسه . ص ٣٦
(19) ينظر / المصدر نفسه . ص ٤٨ - ٥٠
(20) المصدر نفسه . ص ٥٧
(21) المصدر نفسه . ص ٥٩
(22) المبارك : د. ز مازن - نحو وعي لغوي - بيروت- ١٩٧٩ . ص ١٣
(23) المصدر نفسه . ص ١٤
(24) المصدر نفسه . ص ١٤٠
(25) القزاز : د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق . ص١٤٧
(26) المخزومي - دعوة جادة في إصلاح العربية - المعلم الجديد .ص ٢٣
(27) المخزومي - مدرسة الكوفة . ص ٣٩٩

(28) الجواري - نحو التيسير . ص ٦٠
(29) إبراهيم : د. محي الدين توفيق - ابن الانباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - جامعة الموصل - ١٩٧٩ / ٣١٣
(30) الجواري - نحو التيسير . ص ١١
(31) العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث . ص١٢٣
(32) تمام حسان الأصول . ص ١٠٣
(33) شاهين : د . توفيق محمد - عوامل تنمية اللغة العربية - ط ١ - القاهرة /١٩٨٠. ص ١٠
(34) مطلوب : د. احمد - فصول في العربية - منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد٢٠٠٣ . ص ٤٢٣
(35) جواد : د. مصطفى - مجلة المعلم الجديد - الجزء الثالث - السنة الثالثة عشرة – ١٩٥٠. ص ٣٩- ٤٩
(36) جواد : د. مصطفى - المباحث اللغوية في العراق - ط ٢ - بغداد ١٩٦٥
(37) جواد : د. مصطفى - مجلة المعلم الجديد - المجلد الخامس - ١٩٤٠ . ص ١٠٦
(38) جواد : د. مصطفى - قل ولا تقل - ط ٢ - بغداد ١٩٧٠
(39) المصدر نفسه ٢ .ص ١٦١
(40) أشار إليها البحث في هوامشه ص ٢٠٦
(41) القصص - الآية / ٩٨٩
(42) الجواري - نحو القرآن . ص٢٥
(43) ينظر / المصدر نفسه .ص ٢٦ .
(44) أشار إليها البحث سابقاً : وقد تضمنت آراء جديدة في تطور النحو العربي.
(45) المخزومي - مجلة المعلم الجديد - جـ ٦ - مجـ ١٨- ١٩٥٥. ص ٢٣ - ٢٩
(46) المخزومي - في النحو العربي قواعد وتطبيق / ٢٠٩ ، وينظر / سيبويه الكتاب ٢ . ص ٣٠٩
(47) يوسف - من الآية / ٣٠
(48) العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث . ص ٤٠
(49) ينظر / الجواري - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً . ص١٩٤- ١٩٧
(50) الحسون : د. خليل بنيان - النحويون والقرآن - عمان - الأردن ب ت / ٨
(51) الفضلي : د. عبد الهادي - موجز التصريف - مطبعة الآداب - النجف الاشرف ١٩٧٢ . ص ١٣٠
(52) الأحقاف - من الآية / ١٥
(53) يوسف - من الآية / ٤٣
(54) الفضلي : د. عبد الهادي - موجز التصريف . ص ١٣٠ ، ١٣١
(55) العزاوي - من قضايا تعليم اللغة . ص ١٠١
(56) المصدر نفسه . ص١٠٢
(57) الحموز : د. عبد الفتاح أحمد - تأويل ماله أكثر من وجه إملائي في العربية - مجلة الضاد - جـ ١٩٨٢ . ص١٢٠

(58) العزاوي : د . نعمة رحيم - فصول في اللغة والنقد - ط ١ - المكتبة العصرية - بغداد ٢٠٠٤ . ص ١٠١
(59) أشار البحث في الفصل السابق إلى هذه الدراسات ص ٢١٤ وما بعدها
(60) القزاز : د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق ص ١٥٧
(61) المصدر نفسه . ص ١٥٧
(62) المصدر نفسه. ص ١٩٣
(63) سعيد : د. نفوسة - تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر . ص ٢٠٨ أشار إليها البحث في الفصل السابق . ص ٢١٨.
(64) عرض البحث تفصيلات عنه في الفصل السابق . ص ٢١٨
(65) صدر في بيروت بطبعته الأولى عام ١٩٥٩
(66) المصدر نفسه . ص ٧
(67) ينظر | السودا : يوسف - الأحرفية ١٠ ، ١١
(68) ينظر المصدر نفسه . ص ٨ - ٢٠
(69) المصدر نفسه . ص٢٢
(70) المصدر نفسه . ص٢٣
(71) السودا : يوسف - الأحرفية . ص٢٧
(72) ينظر المصدر نفسه . ص٢٧ - ٤١
(73) المصدر نفسه . ص ٣١
(74) المصدر نفسه . ص ٣١
(75) ينظر / المصدر نفسه . ص ٣٢
(76) السودا : يوسف - الأحرفية . ص ١٤٤
(77) غراما طيق / كلمة يونانية مشتقة من كلمة (غراما) ومعناها (الحروف) والمقصود (علم الحروف) ينظر / المصدر نفسه . ص٢٨
(78) المصدر نفسه . ص١٠٠- ١٠١
(79) المصدر نفسه . ص ١٠١
(80) السودا : يوسف - الأحرفية . ص ٢٦
(81) أشار إليه البحث في هوامشه . ص ٢١٤
(82) هود - الآية / ١٢
(83) العلواني : نسرين - البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة . ص ٥٢
(84) الحجر الآية / ٩

المصادر والمراجع :

(1) السيوطي - الاقتراح في أصول النحو . الناشر: دار البيروني ، دمشق .
(2) أبو مغلى : د. سميح - الأصول في اللغة العربية وآدابها - دار القدس - عمان - ١٩٩٠ .
(3) القرطبي - الرد على النحاة . تح : شوقي ضيف .القاهرة ، دار الفكر العربي .
(4) القزاز: د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق .
(5) حسين : د. محمد محمد - حصوننا مهددة من داخلها – ط5 - الكويت ١٩٧٨
(6) الرافعي : مصطفى صادق - تحت راية القرآن - ط٧ - مصر - ١٩٧٤
(7) المبارك : د. ز مازن - نحو وعي لغوي - بيروت- ١٩٧٩ .
(8) القزاز : د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق .
(9) المخزومي - دعوة جادة في إصلاح العربية – العراق ، مجلة المعلم الجديد .
(10) المخزومي - مدرسة الكوفة .مصر ، القاهرة . 1958
(11) الجواري - نحو التيسير .العراق ، 1984 م .
(12) إبراهيم : د. محي الدين توفيق - ابن الانباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - جامعة الموصل - ١٩٧٩ / ٣١٣
(13) العزاوي - في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة
(14) تمام حسان ، الأصول . القاهرة ، عالم الكتب .
(15) شاهين : د . توفيق محمد - عوامل تنمية اللغة العربية - ط ١ - القاهرة /١٩٨٠.
(16) مطلوب : د. احمد - فصول في العربية - منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد2003 .
(17) جواد : د. مصطفى – العراق ، مجلة المعلم الجديد - الجزء الثالث - السنة الثالثة عشرة – ١٩٥٠.
(18) جواد : د. مصطفى - المباحث اللغوية في العراق - ط ٢ - بغداد ١٩٦٥
(19) جواد : د. مصطفى – العراق ، مجلة المعلم الجديد - المجلد الخامس - ١٩٤٠ .
(20) جواد : د. مصطفى - قل ولا تقل - ط ٢ - بغداد ١٩٧٠
(21) المخزومي - مجلة المعلم الجديد - جـ ٦ - مجـ ١٨- 1955.
(22) ينظر / الجواري - تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة
(23) الحسون : د. خليل بنيان - النحويون والقرآن - عمان - الأردن ب ت / 8
(24) الفضلي : د. عبد الهادي - موجز التصريف - مطبعة الآداب -بغداد ، النجف الاشرف 1972 .
(25) الحموز : د. عبد الفتاح أحمد - تأويل ماله أكثر من وجه إملائي في العربية – الأردن، مجلة الضاد - جـ١٩٨٢ .
(26) العزاوي : د . نعمة رحيم - فصول في اللغة والنقد - ط ١ - المكتبة العصرية - بغداد 2004 .
(72) القزاز : د. عبد الجبار - الدراسات اللغوية في العراق
(28) سعيد : د. نفوسة - تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر . ص ٢٠٨ أشار إليها البحث في الفصل السابق.
(29) ينظر | السودا : يوسف - الأحرفية . بيروت 1969
(30) العلواني : نسرين - البحث الصرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة . بغداد ، 2003